العلماء

يتعلمون من المشعوذين

الأستاذ فوزى الشتوى

السم يغير تسمم

منذ قرون بعيدة وكهان الطب ومشعوذوه فى غابات المناطق الاستوائية فى أمريكا الجنوبية يعمدون إلى بعض الأعشاب يطبخونها بطريقة خاصة وفى وسط مراسيم دينية . حتى إذا تمت الطقوس عمدوا إلى عيدان رفيعة غمسوا أطرافها فى المادة المطبوخة. واحتفظوا بها حتى إذا خرجوا إلى الصيد أطلقوها بدفع الهواء بأقواسهم على الفرائس ولا يكاد العود يخترق الجلد ويسرى السم فى دم البقرة أو الوعل حتى تتوقف عضلات المعدة والقلب والتنفس عن الحركة فيخر الحيوان ميتا .

وليس من الضرورى أن يصاب الحيوان فى مقتل ، فالمهم أن أن يصل السم إلى الدم فى أى جـــزء من الجسم ليشل أعضاء الحيوان الداخلية والخارجية عن الحركة .. ولا يفسد لحم الحيوان بل يحتفظ بجودته فيقبل عليه صيادوه يلتهمون لحمه النقى الذى لا يبدو فيه أى أثر للتسمم .

هذا السم الغريب هو مدار البحث والتجربة الآن عند فريق من الأطباء والجراحين الامريكيين . لأنهم يعالجون به كثيراً من الأمراض العقلية المستعصية . ويعجلون به شفاء عدد من الأمراض العقلية المحيرة .

من أحاديث الخرافات

أما كيف حدث اكتشاف هذه المادة فأمر يوشك أن يكون من أحاديث الخرافات والقصص الخيالية ولكن الأطباء يوردون آلاف الحوادث والحالات التى شفت هذه المادة أصحابها والتى يطلقون عليها إسم كورا راى . وهو ذات اللقب الذى يسميه به سكان القبائل البدائية فى مناطق أمريكا الجنوبية الاستوائية .

وليس عهد العلماء حديثاً بهذه المادة الغريبة ، فمنذ أربعة قرون أحضر السر والترراى الرحالة الانجليزى عينات منها استغلها العلماء فى القرن السادس عشر فى علاج بعض الحالات . ولكن الكمية كانت محدودة فلم تتح لهم مواصلة تجاربهم وأوشك اسم الكورا راى أن يزول من رؤوس الباحثين .

(شكل ١) يستطيع هذا الهندى أن يقتل أى حيوان من بعد ٨٠ ياردة بقذفه بسهم الكورارا راى من غابته الطويلة

وأريد لهذه المادة الحياة مرة أخرى على يدى مستكشف ناشىء مارس حياة الغابات منذ ١٩٣٠ واسمه ريتشارد جيل . وفى خلال الأعوام التى عاشها فى غابات أمريكا الجنوبية تعرف إلى مشعوذيها واكتسب صداقتهم وإعجابهم فأطلعوه على طقوس الكورا راى وطريقة تحضيره والأعشاب التى يستمد منها فأقام فى الغاب سنوات طويلة وهو يقتنص صيده بواسطته ويأكل لحمه . ولكنه لم يدرك أهمية المادة للعالم المتمدن .

المرض المحير

وجمع به حصانه مرة فسقط على الأرض وأصيب بالشلل . ونقل إلى مستشفيات أمريكا ففحصه الأطباء من قمة الرأس إلى أخمص القدم فلا يجدون به علة ولا يعثرون فى أعضائه على عطب . ولكنه كان لا يقوى على الحركة . بل إن شعوره كان منهما غامضا

لا يحس حتى بالألم فأفتى أطباؤه بأنه ربما كان فريسة الشلل التشنجي .

والمصابون بهذا المرض تتولاهم هزات عضلية قاسية تنشأ من تيبس العضلات . وأخطره الطبيب بأن علاج حالته غير معروف . ولم يعرف الطب إلا مادة واحدة لا سبيل إلى الوصول إليها لأنها من مواد النابات الإستوائية وهي الكورارای .

(شكل ٢) مادة الكورا راى التي يغمس فيها الهنود أسهم صيد الحيوانات وقتلها بغير إفساد لحمها

وسمع جيل الإسم المألوف لديه فسرى فى جسده كتيار كهربائى ساحر . فتلك المادة التى توفرت لديه فى الماضى مطلوبة الآن ليجرب بها الطبيب طريقة لعلاج علته ، وتناوشته الأفكار والآراء وعصفت به نفسه ، وهو يرى بصيص الأمل ويعرف طريقه ولكنه لا يقوى على السعى إليه .

إنه يعرف هنود تلك المناطق ومشعوذيها . ويعرف كيف يستحضر مادة حياته . ولكنه سجين بين جدران أعضائه الناعمة . أنه يعرف الطـــريق لانقاذ آلاف الناس وإبراء ملايين العلل ولكنه لا يقوى على الحركة .

كفاح اليائس :

وكانت الإرادة ، وكان الصبر ، وكان الكفاح . فأمضى الساعات الطوال وهو يدرب عضلاته على الحركة بمختلف الوسائل وربما أثير فى نفسه من دوافع العزم على الحياة . فلم تمض شهور بارز فيها مع أطبائه ومستشاريه العلة حتى تغلب عليها وغادر مستشفاه .

ومضت أعوام أربعة حتى استطاع زيارة مناطق خط الاستواء على رأس بعثة خشى أن تفشل . إذ توهم أن سحرة الهنود قد ينكرونه أو ينسون أمره . ولكنه ما كاد يقابلهم حتى استقبلوه بترحاب وتقدير .

ومن هناك سارت عشرات القوارب ومئات الحيوانات فى الأنهار وفى الأدغال لتنقل إلى الطب تلك المادة الثمينة النادرة . وعاد جيل وقد حرص هذه المرة على التقاط أشرطة سينمائية تبين جميع مراحل تحضير الكورا راى .

ولم يكن الطب مؤمناً كل الإيمان بفعله فسخر منه ولكن أحد أطباء كلية نبراسكا احتضن البحث وأقبل على تجربته واحتضنته إحدى الشركات أيضا فحضرته مركزاً ونقيا ووزعت عيناته مجاناً على الباحثين ليجروا عليه تجاربهم ولم تمض فترة حتى ظهر فى الأسواق التجارية . واقتنع الأطباء بأنهم يستطيعون التعلم ولو من متوحشى الغابات ومشعوذيها .

سلامة الجسم أم العقل :

وواجه الأطبـاء فى تلك الفترة معضلة خطيرة ، فقد وفق بعضهم إلى علاج بعض الأمراض العقلية بأحداث صدمات عصبية فى المرضى تؤدى فى الغالب إلى الشفاء . ولكنها تؤدى أيضاً إلى تشنجات عضلية حادة تضر أعضاء المصابين الداخلية ، وتحطم عظامهم فى بعض الأحيان . فهل لمثل هـذا العلاج أن يستمر وهل يجوز أن يكون شفاء العقل على حساب تحطيم الجسم .

وحل الكورا راى الإشكال وأجاب على السؤالين حينما عرف العلماء كيف يستخدمونه لأنه أتاح للطبيب إحداث الصدمة الطبية بغير أن يتعرض المريض إلى خطر تحطيم عظام جسمه ، وكان الطبيب بنت من جامعة نبراسكا أول من سلك الطريق فأجرى تجاربه على الأطفال المصابين بالشلل التشنجي .

(شكل ٣) سيقان النباتات التي يستخرج منها المخدر وإلى جوارها السهام المسمومة وفوق السيقان بعض مصنوعات الهند

يريح العضلات :

ودلت الأبحاث على الحيوانات أن الكورا راى يريح العضلات إذ يصيب وصلات الأعصاب المحركة لها بالشلل ، أو